

أما في كل آن ومكان تملأ ابتساماتها جوانب قلبي
بأى قضاء قد تنى إلى الشقاء أيتها العناية العليا ؟
وماذا كان على أن أقترح من قبل لأصل إلى هذه
الحياة الحرة ، إلى مثل هذا الولاء والراحة حيث تنشق
أوائل ذرات الآمال .

على م يشكو الناس الحياة ؟ لهم الله ! أليس لديهم
الحب ؟ وهل من شئ أعذب من الحب ؟
أفما يكفي الحب إحساناً أنه يجعل الإنسان
شاعراً بالحياة مدركاً بأنه خليفة ربه ؟

حذار أن تشك في الحب فهو سر لن تجد له
تفسيراً ؛ ومهما قيده الناس بأنواع الاغلال وأحاطوه
بالدنايا والأقذار ؛ ومهما تراكم فوقه من المعتقدات
السخيفة ما يشوهه ويفسده فإنه ليقى بين هذه
الأقذار القوة العنيفة المسيطرة ، والناموس السماوى
الذى يتساوى بقدرته وتعاليه عن الإدراك ، والناموس
الذى رفع الشمس في أفلاكها . .

ماهي هذه الرابطة التى تشد الناس بقيود أصلب
وأمتن من الحديد وهى لاتلمس ولا ترى ؟
يصادف رجل امرأة ، فما هي إلا نظرة وكلمة فإذا
هذه المرأة راسخة فى تذكاره لا يجد إلى محوها من
صفحاته سيلاً .

من الذى قضى بأن يحدث هذا الانطباع من
ذات هذه المرأة دون سواها ؟
ارجع إلى العقل والاعتقاد والحس ؛ الجأ إلى
رأسك وإلى قلبك وعد بالايضاح إذا تمكنت منه ،
فأنك لن تجد أمامك إلا جسدين يواجه أحدهما
الآخر وليس بينهما إلا الهواء والمدى .

ما أسخف من يعتقد بإنسانيته ويجسر على
اقتحام الحب لتحليله ، أرأيتم الحب لتصفوه ؟
إن أحداً يره ، بل شعرتم به شعوراً منكم لم



اعترفان فتى العَصْرِ

لألفريد روى موسى

بملم الأستاذ فليكس فانس

الجزء الثالث

الفصل السادس

و كنت فى ذات ليلة عند مدام بيارسون وكان
قد مر على ثلاثة أشهر لم يفتنى منها يوم دون أن
أجتمع بها ، وما أذكر من هذه الأيام إلا أننى
كنت أراها ؛ وقد قال لارويير : يكفى الإنسان أن
يوجد قرب من يهوى سواء استغرق فى تفكيره
أو تكلم ، وسواء اتجه فكره إليه أو إلى أى
موضوع كان .

كنت عاشقاً . مرت علينا ثلاثة أشهر ونحن
نتمتع بالتنزه ساعات طويلة فاطلمت على أسرار
أعمالها المبرورة ؛ وكنا نجتاز الغابات وهى ممتطية
مهراً وأنا أمشي وراءها ويبدى عصا صغيرة . فكنا
نذهب حاملين همتنا وجبورنا لنقرع أبواب الأكواخ
وكان على مدخل الغاب مقعد خشبي كنت
أذهب فأجلس عليه كل مساء بعد العشاء فالتقى
بها هنا لك كأن الصدفة تسوقنا إلى هذا المكان
بلا موعد .

وفى السهرة كنا نلعب بالورق مع عمها قرب
الموقد كما كان الحال فى عهد والدى ، وهكذا كانت

ولو أن هذه الحساء لم تفتح لي بيتها بمثل هذا الولاء، لكنت عززت عاطفتي بشيء من الأقدام ولم أكبت هذه الأشواق العنيفة التي كانت تهزني هزاً كلما فارقتها ولو إلى حين. ولكن ما كان يبدو لي من صراحة وإخلاص في معاملتها لي كان كافياً لصدى عن كل إقدام؛ وفضلاً عن ذلك فإن مدام ييارسون لم تبدل لي صداقتها إلا استناداً إلى اسم والدي، وما كان هذا الاعتبار إلا ليزيد في احترامها وفي ميلي إلى المحافظة على كرامة هذا الاسم.

قيل « إن من تحدث عن الغرام فقد كاشف من يحدثه بغرامه » لذلك لم أذكر الغرام إلا عرضاً في حديثي؛ وكنت كلما تعرضت لكلمة الحب أرى جليستى تقتضب الكلام وتتحول إلى موضوع آخر، وما كنت لأعرف لذلك سبباً، غير أنني كنت في مثل هذه المواقف ألجأ على وجهها التجهم المتألم؛ وما كنت سألتها شيئاً عن حياتها الماضية ولا خطر لي أن أفاتحها في هذا الأمر لذلك ضربت صفحاً عن كل محاولة.

وكان يقام مرقص في كل يوم أحد في القرية فكانت تذهب إليه في أغلب الأحيان؛ وما كانت لتبدل شيئاً من بساطة ملابسها لهذه المناسبة بل كانت تكتفي بوضع زهرة تربطها على شعرها بشربطة زاهية قزيد في رونق شبابها. وكان الرقص يثير فيها الراح لأنها كانت تحبه كرياضة بريئة. وكان لها مقعدها الخاص قرب جوقة الموسيقى، فكانت تتوجه إليه قافزة ضاحكة لتجتمع بصويحباتها ثم تندفع إلى الرقص دون انقطاع. وكنت ألاحظ زوال الكلفة بيني وبينها في هذه الأوقات؛ وما كنت أشترك في الرقص لأنني لم أزل في مدة الحداد. ولكم خطر لي حين أراها مرحلة أن أتهز الفرصة لأبوح

لقد تبادلتم النظرات مع شخص مجهول مر بكم فسمرتم فجأة بانطلاق شيء منكم لا يحيط به اسم ولا يحدده تعبير، فوقف الهوى بكم يشد بأعراقكم إلى الأرض كأنتكم حبة الحنطة تشعر بالحياة تستنبت منها سنابل الحصاد.

وكنا جالسين سوية أمام النافذة المفتوحة نطل على حديقة ينجر في طرفها ينبوع صغير تصل سقسقته إلى آذاننا. ولكم أتمنى لو أنني أعيد الآن ما أسالت هذه العين من قطرات ونحن نتبادل الحديث؛ تلك أويقات كنت أأمل منها حتى لأعنى يقولون إنه لا شيء أسرع إلى القلب من الشعور بالنفور، غير أنني أرى أسرع منه إلى القلب الشعور بالتفاهم وبتروصد الحب للمتفاهمين. فإن لكل كلمة في هذه المرحلة الأولى قيمة تفوت كل تقدير وما يقف الفكر عند ما تنطق به الشفاه عند ما تتجاوب في أحاديثها القلوب.

لله ما أحلى هذه النظرات الأولى يبادلها العاشق نظرات امرأة تجتذبه؛ ولله أوائل حديث كأنه محاولات تفكير متردد ونجاوب بيان؛ ثم يشعر العاشقان بفرح غريب إذ يتحقق كل منهما أن صوته قد أهاج صدى كامناً في قلب الآخر فيحيا حياة مزدوجة يدهشه تقاربها وتلاصقها، وإذ يثق أحدهما بالآخر ويتيقن من حبه ويعلم أنه ظفر بالتأخي المنشود تفيض الروحان غبطة فتتمطل لغة الكلام إذ يسبقها الحس الباطن بياناً وإدراكاً وإذا تحاطبت الروحان أسكت تحاطبهما الشفاه. فيالها من أويقات صمت يحى فيها من التذكار كل الوجود.

وكان الحب قد قبض على مشاعري منذ أول نقياً وترايد حتى بلغ الهيام؛ ولكنني استحييت من هذه المرأة فوجت أمامها لا أبدى ولا أعيد.

وما كنت أعرف سبباً لإصرارى على الصمت ،
وبدلاً من أن أتوجه إلى مسكنى ذهبت شاردأ في
القرية وفي الغاب ، فكنت أجلس حيث أجد مقعداً
ثم أنهض فجأة . وما انتصف الليل حتى رأيتني
أقرب من بيت مدام بيارسون فرأيتها مظلة من
النافذة فارتعشت وأردت أن أنكص على أعقابى
فوقفت كالأخوذ ثم تقدمت على مهل وقعدت تحت
نافذتها ولا أعلم إذا كانت عرفتني . ومرت دقائق على
وجودى فسمعت صوتها الناعم الزنان يتعالى بنشيد
هيام ، وشعرت بزهرة تسقط على كتفى فاذا هى ورده
كانت تحلى بها صدرها فى المساء ، فرفعتها إلى شففى
فقلت :

— من هنا فى مثل هذه الساعة ؟ أهذا أنت ؟
وناديتى باسمى . وكان الحاجز مفتوحاً فنهضت
دون أن أجيب ؛ ودخلت الحديقة ، وإذا وصلت إلى
وسط المرج توقفت لأنى كنت كسائر فى المنام
لأنى ما أفعل

ولاحت على باب الدرج وهى تحديق بأشعاع
القمر وقد بدا التردد على ملامحها . ومشت نحو
فتقدمت إليها وعصاني الكلام فانطرحت جاثياً أمامها
وقبضت على يدها

فقلت : اصغ إلى . أنا عارفة . ولكن إذا
كان بلغ الأمر منك هذا الحد فيجب أن تذهب . أنت
تجى كل يوم فترحب بك . أما يكفىك هذا ؟ وما
بوسى أن أفعل من أجلك ؟ أما بذلت لك صداقتى ؟
ولكن كنت أتمنى لو أنك حافظت على صداقتك لى
إلى أمد أطول

لها بجى . ولكننى ما كنت أحاول ذلك حتى أشعر
برهبة لا أستطيع مقاومتها فأعود إلى موقفى الجدى .
وعزمت مراراً أن أكتب إليها ولكننى مرقت
جميع رسائلى قبل أن أصل إلى نصفها .
وفى هذا المساء كنت تناولت العشاء معها
فكنت أنظر إلى ما حولى من هدوء وسلام وأفكر
فى الراحة التى دعتها منذ تعرفت إليها ، فقلت فى نفسى
ولماذا أطلب مزيداً على هذا ؟ أما يكفىنى ما أتمتع به ؟
فما أدرى لعل الله لم يقدر لى مزيداً . ولعل هذه المرأة
تصدنى إذا أنا أعلنت حبى لها فأحرم مشاهدتها .
وهل إذا قلت لها إننى أحبها سأزيد فى سعادتها ؟ وهل
أبلغ أنا سعادة أوفر من التى أتمتع بها الآن ؟

وكنى أفكر فى هذه الأمور وأنا مستند إلى
البيانو فشعرت بحزن شديد يستولى على ، وبدأ الغسق
يعد ظلاله ، فأوقدت شمعة ثم عادت نحو مقعدها
فأرأت دمعاً تتدحرج على خدى فقلت : — مالك ؟
فأدبرت وجهى

والتمست عذراً فما عثرت على ما أعتذر به .
وحاذرت أن تقع عينها على عيني فتوجهت نحو
النافذة . وكان الهواء يهب بليلاً والقمر يطل مرة
وراء أشجار الزيفون حيث كنت رأيتها لأول مرة
فحكمتى الدهول ونسيت كل شئ حتى وجودها هى ،
ورفعت ذراعى نحو السماء فخرجت زفرة كأنها الأنين
من أعماق فؤادى

ونهضت من مكانها فإذا هى واقفة ورأى تقول :
— ما هذا ؟

فقلت لها لقد تذكرت أبى ولجميعى بموته عندما
رأيت هذه الأشجار

واستأذنت بالانصراف وخرجت

الفصل السابع

قلت هذا وسكتت كأنها تتوقع جواباً . وإذ رأيته لا أزال متهدماً تحت وقر أحزاني سحبت يدها من يدي على مهل وتراجعت خطوات ثم وقفت لحظة وتولت إلى بيتها

وبقيت على المرج وكنت أتوقع أن أسمع منها ما سمعت ، لذلك لم أتردد في التصميم على الذهاب . وقفت وفي قلبي غصة وانطلقت أجوب أنحاء المدينة وأنا أحرق بالمسكن وبنافذة غرفة مدام بيارسون ؛ ثم عدت أدراجي إلى الحاجز وخرجت مغلقاً الباب ورأي ؛ وقبل أن أبتعد وضعت شفتي على القفل وقبلته طويلاً

وعند ما وصلت إلى مسكني طلبت من لاريف أن يعد متاعى لأنني أزمعت السفر في الصباح ، فدهش المسكين لهذه المفاجأة ، فأشرت إليه بأن ينفذ الأمر دون أى استفهام . فأحضر صندوقاً كبيراً وأخذنا نضع المتاع فيه

وكانت الساعة الخامسة صباحاً وقد لاحت بشير الصباح فوقفت أسأل نفسي الى أية جهة سأسافر ؟ وما كان خطري في هذا الأمر حتى الساعة ، فاضطربت له ووهي تجلدى ، فسرحت أنظاري على الحقول وما وراءها من آفاق فاستولى الوهن عليّ فاستلقيت على مقعد وتبلبلت أفكاري . رفعت راحتي الى جيبني فإذا هو يتصبب عرقاً . وشعرت بحمى شديدة تهز جميع أعضائي ، فنهضت أطلب فراشي وأنا أستند الى ذراع لاريف . وطرأ عليّ الدهول فما كنت أذكر شيئاً مما جرى لي . وصر النهار وأمسى المساء فإذا بنغمات موسيقية تصل الى أذني

فتذكرت أن اليوم يوم أحد ، فأدركت ان الرقص قد دار فأرسلت لاريف ليرى ما اذا كانت مدام بيارسون موجودة فيه . فعاد لاريف قائلاً : انها ليست هناك . أرسلته الى بيتها فرأى النوافذ مقفلة ، وقالت له الخادمة ان سيدتها سافرت مع عمتها لقضاء بضعة أيام عند أحد الأنساب في مدينة . . . وهي مدينة صغيرة تبعد مسافة ليست قصيرة عن القرية . ودفع اليّ لاريف بكتاب سلمته إياه الخادمة جاء فيه ما يأتي :

« منذ ثلاثة أشهر لم أقطع عن مشاهدتك ؛ ومنذ شهر اتضح لي أنك أخذت بالمعاطفة التي يدعوها من في سنك غراماً . وكنت أحسب انك مصرّاً على كتمان أمرك والتغلب على نفسك . لقد كنت أحترمك وليس لي أن أوجه أية ملامة اليك عما حدث وعلى فشل غزيمك .

ان ما تحسبه حباً ليس إلا شهوة ؛ ولا أجهل ان كثيرات من النساء يحلوهن تنبيه مثل هذه الشهوة وكان الأجدر بهن أن يرضين كبرياءهن باكتساب الإعجاب دون إثارة الشهوات ، ولكنني أرى الآن ان هذه الكبرياء نفسها خطيرة وقد أسأت باندفاعي معها تجاهك .

انني أسبقك في مرحلة العمر بسنوات ، فاطلب منك ألا تحاول الاجتماع بي لأن من يستسلم لضعفه لن يجد بعد ذلك للنسيان سيلاً . ان ما جرى بيننا لا يمكن العود اليه ولا يمكن أن ينسى تماماً .

انني لا أفارقك بلا حزن ، فأنا سأغيب عدة أيام . فإذا بارحت البلد أثناء غيابي فأنني لأشكرك على ذلك كدليل على ما تشعر به نحوي من صداقة واحترام . »

بريجيت بيارسون

الفصل الثامن

أننى ملت إلي الظن بأن ارتياحها ناشئ عن المفاجأة ليس إلا .

ولكنها تماكنت روعها وكررت كلماتها بكل هدوء ، فقلت لها : أطلب إليك أن أراك للمرة الأخيرة . فأننى سأسافر وأترك هذه البلاد فأصعد بأمرى بل أذهب إلي أبعد ماتقصدين . أقسم لك بأننى سأبيع بيت أبى وكل ما يملك لأهاجر إلى البلاد الأجنبية ! ولن أنفذ هذا القسم إلا إذا قبلت رجائى ، وإلا فأننى أبقي . . لا تخافى . فأننى مصمم على هذا . فقطعت حاجبها وأجالت نظرات غريبة إلى ما حولها ثم قالت فى شئ من اللطف : تعال غداً فى النهار فأقابلك . وذهبت .

ذهبت إليها فى اليوم التالى عند الظهر فأدخلتني الخادمة إلى غرفة قديمة الرياش حيث وجدت مدام بيارسون وحدها فجلست تجاهها وقالت : - ما أتيت لأشرح ما أعانى أو لأنكر ما فعل حبك بى . لقد قلت لى فى كتابك إن ماجرى بيننا لا يمكن نسيانه فما أصدق ما عبرت عنه ؛ غير أنك قلت بعد ذلك إن اجتماعنا على ما كنا عليه من قبل أصبح مستحيلا ، وهذا مالا أراك على حق فيه . أنا أحبك وما فى ذلك إهانة لك ، فوضعك لم يتغير مادمت أنت لا تحببني ، فإذا ماعدت إلى الالتقاء بك فلن يكون مدار الأمر إلا على وحدى وحبى لك كافل لك صياتك .

وأرادت أن تقاطعنى فلم أتوقف بل تابعت قائلا : - بحقك اسمح لى أن أذهب إلى آخر حديثى . إننى أعلم ولا يعلم أحد أكثر منى أن حبى سيتقلب على كل ما لك من حرمة عندى وعلى كل عهد أقطعه تجاهك على نفسى . وأنا أكرر لك القول بأننى ما أتيت لأنكر عليك ما يضره فؤادى ؛ وأنت أعلنت لى أنك عارفة بحبى منذ زمان فما الذى ردنى حتى

وأزمتنى الحى الفراش أسبوعا كاملا . ولما استعدت قواى كتبت إلى مدام بيارسون أقول لها إننى أطيع أمرها ، وكتبت هذا العهد وأنا عازم على القيام به غير أننى مالمثت حتى عدلت عنه .

استقلت عربة فسارت تبعدنى عن القرية حتى إذا أصبحت منها على مسافة ميلين صرخت بالسائق فأوقف السير وترجلت أتمشى على الطريق وأنا معلق أبصارى على البلد الذى قررت مبارحته ، ووقفت تتنازع عنى عوامل بلبت من خاطرى ، فشعرت بأننى أعجز من أن أتابع طريقى وأن مواجهتى الموت فى مكافئ أسهل علي من ركوب العربة المولية . وأصدرت أمرى إلى السائق بالنكوص وبدلا من الاتجاه نحو باريس انطلق الفرسان يقطعان الأبعاد إلى قرية . . . حيث نقيم مدام بيارسون .

وصلت إلى هذه القرية عند الساعة العاشرة ليلا ، وماكدت أنزل فى الفندق حتى طلبت من الخادم أن يدلنى على بيت نسيب بريجيت . فذهبت إليه ، وإذا قرعت الباب قابلتنى الخادمة فقلت لها أن تبلغ سيدتها أن رسولا من قبل دسبريس كاهن القرية يطلب مواجهتها .

وتوارت الخادمة فى الدهليز فوقفت فى الباحة وكان المطر يتساقط ، فتقدمت إلى قبو تحت الدرج أتقى فيه الليل ؛ وبعد فترة نزلت مدام بيارسون تتبعها خادمتها فما رأتنى وأنا فى الظلمة ، فتقدمت إليها ووضعت يدي على ساعدها فرجعت مذعورة ونادت : « ماذا تريد منى ؟ »

وكان صوتها يرتجف ؛ وإذا تقدمت الخادمة بالنور رأيت وجهها ممتعاً إلى درجة حسبتها نافرة منى لولا

الذى أحاذره هو فقدانى إياك . ألقى التجارب على
فاذا ما بلغ بى الألم حدا لا قبل لى باحتماله فأننى لن
أردد فى الرحيل . وأنت واثقة من خضوعى لأننى
مستعد اليوم للسفر تنفيذاً لأمرك .

وتوقفت أنتظر جوابها ، فنهضت من مكانها فجأة ثم
عادت فاستلقت على مقعدها وبعد صمت قصير قالت :
— كن واثقاً من أن الأمر ليس على ما تظن .
ولحظت أنها تتلمس فى تذكرها كلمات تخفف
من صرامة بيانها فوقفت وقلت لها :

هى كلمة واحدة لا غير أطلبها منك . أنا
لا أعرف من أنت فاذا كان فى قلبك رحمة فأنا
أشكرك عليها . قولى هذه الكلمة فإني حياتى
متوقفة عليها .

وهزت رأسها بتردد ، فأردفت قائلاً : إنك نظنين
أننى سأشفي وأنا أسأل الله ألا يحرمك من هذا
الظن . إذا أنت طردتنى الآن .

ونظرت إلى الأفق فرأيت العزلة تنتصب أمامى
ورأيتني طريداً شريداً فشعرت بتجمد الدم فى عروقى
ونظرت إليها وأنا واقف أعلق عليها أبصارى وأنتظر
جوابها وكانت كل حياتى معلقة على شفيتها .

فقلت : اصغى إلى . إن قدومك إلى كان
بجاذفة ، فيجب ألا يعلم أحد أنك أتيت من أجلى
وسوف أعهد إليك بمهمة تقوم بها ، فاذا ما رأيت
السفر فى هذه المهمة طويل الأمد فلك أن تقصره ؛
ولكن إلى حد ، وعلى كل حال أرى سفرك إلى
حين سيسكن من اضطرابك

إنك ستذهب إلى « الفوج » ومنها إلى
ستراسبورغ وعندما تعود بعد شهر أو على الأصح بعد
شهرين تطلعن على نتيجة مهمتك وعندئذ أتمكن من
أن أعطيك جوابى بأصرح مما يمكننى أن أفعل الآن
(ينبع)
فيلكس فارس

اليوم عن إعلان هذا الحب لك ؟ إن ما أرمى
الصمت إنما كان خوفاً من فقدك وحرمانى من
الاجتماع بك ، وهذا الذى حاذرت قد وقع . فأنا أراضى
بشرطك على أن توحدى بابك فى وجهى إذا
ما بدرت منى بادرة تنحرف عن احتراى الشديد لك .
لقد تمكنت من السكون فيما مضى فلن أنكلم بعد
الآن . أنت تظنين أنى أحببتك منذ شهر . لا ، لقد
أحببتك منذ أول يوم . وأنت عرفت حبنى فما دعاك
ذلك إلى منى من مشاهدتك . فاذا كنت فى هذه
الأناء واثقة من أن حرمتك لن تجزلى أن أسى
إليك فلماذا تفقدينى هذه الثقة اليوم ؟ لقد أتيت
مطالباً بهذه الثقة فما الذى ارتكبته تجاهك ؟ ألا أننى
طويت ركبتى على الأرض دون أن أنبس بكلمة
أعد جانباً ؟ وهل عرفت من هذه الحركة شيئاً كنت
تجهليه قبلها ؟ لقد وهنت قواى لأننى كنت متألماً
فاصغى إلى ياسيدي . إننى فى العشرين من عمرى ومع
ذلك فقد رأيت من الحياة ما أورتنى كرهها حتى
غدوت لا أرى لى فيها مقاماً أرتاح فيه ، لا بين الناس
ولا فى العزلة والانفراد ؛ وليس لى من مستقر أتنفس
الحياة فيه إلا هذا المدى الذى يحده جدران حديقتك .
إنك دون سواك الكائن الذى أومن قربه بالله .
ولقد كنت أعرضت عن كل شىء قبل أن عرفتك ،
فلماذا تريدن حرمانى من الشماع الوحيد الذى منحنى
الله إياه من الشمس ؟ فاذا كان الخوف يدعوك إلى
هذا الاحتياط فهل أتيت ما يبرر هذا الخوف ؟ وإذا
كان سببه نفرة منى فبأى عمل استحققت هذا النفور ؟
أما إذا كان ما دعا إلى هذه المعاملة إشفاقاً على
ما احتملته من الآلام فأنك منخدعة فى اعتقادك بإمكان
شفائى . لقد فات إمكان الشفاء منذ شهرين ، ولكننى
فضلت أن أحتمل آلامى بقربك . ولست بنادم الآن
ولا غداً على هذا مهما فعلت فى الأيام . إن الشفاء